

# حائمه

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاہ

اللهم إني أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمه من كل بر والسلامه من كل اثم والفوز بالجنة والنجاة من النار ، ولا تدع لنا ذنباً إلا غفرتہ ، ولاهماً إلا فرجتہ ولا حاجه إلا قضيتها

بهذا الدعاء المأثور الذي كان الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه فيما روى يختم كل صلاة ، ينتهل إلى الله في ختام هذا العمل العظيم الذي عكف عليه والدنا الشيخ أحمد عبد الرحمن البنارجه الله ونسأله تعالى أن يتقبله منه ، وأن يجعله سبباً لاستجلاب رحمة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وقد عبر الشيخ رحمه الله في مقدمة الجزء الأول من هذا الكتاب عن رغبته في وضع ترجمه مسهبه لصاحب هذا المسند وراويه الأمام الأجل أحمد بن حنبل الشيباني رحمه الله . فوضعنا الترجمة التالية وإن لم نكن أخص الناس بها أو أقدرهم عليها سالكين فيها الطريقة السلفية التي هي طريقة الكتاب معتمدين على المراجع الأساسية ك: تاريخ الإسلام للذهبي والمناقب لابن الجوزي والبداية والنهاية لابن كثير وما إلى ذلك . فنقول ، وبالله التوفيق .

الامام أحمد بن حنبل الشيباني

مولده ونشأته :

هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الدهلي الشيباني المروزي (نسبة إلى مرو) ثم البغدادي . قدم به أبوه من مرو وهو حمل فوضعتہ أمه في بغداد وتوفى أبوه ، هو بن ثلاث سنين . قال صالح بن الإمام أحمد قال لي أبي ولدت في ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة قال صالح وجيء بأبي حمل من مرو فتوفى

أبوه محمد شابان بن ثلاثين سنة فوليت أبي أمه . وقال أبي وكانت قد ثقت أذني فكانت أمي تصير فيهما لؤلؤتين ، فلما ترعرت نزعتهما ، فكانت عندها فدفعتهما إلى فبعتهما بنحو من ثلاثين درهم .

وينسب الإمام أحمد عادة إلى جده فيقال « أحمد بن حنبل » لأن جده كان أشهر من أبيه فقد كان والياً على سرخس — من أعمال خراسان — وناصر الدعوة العباسية أول عهدا ، واوذي في ذلك في حين كان أبوه « محمد » بتعبير ابن الجزري « في زي الغزاة » أي أنه كان من سواد الجند المجاهدين ، وإن روى عن الأصمعي أنه كان قائداً .

وأمه هي صفية بنت ميمونه بنت عبد الملك الشيباني . فهي شيبانية كأبيه . وكانت هي التي كفلت أحمد وأدبته فأحسنت تأديبه . رحمها الله . .

وشيبان قبيلة ربيعة عدنانية من صميم العرب ، تلتقى مع النبي صلى الله عليه وسلم في نزار بن معد بن عدنان . عرفت بالهمة والنخوة والإباء والحمية . وانجبت الكثير من مشاهير العرب وفرسانهم في الجاهلية والإسلام . وكانت منازلها بالبصرة . وكان الإمام أحمد إذا جاء البصرة صلى في مسجد مازن ، وهم من بني شيبان ويقول « انه مسجد آبائي »

كانت لوأخ النجابة تظهر عليه من الطفولة ، حفظ القرآن ودرس الفقه واللغة وروى عنه أنه قال « كنت وأنا غليم أختلف إلى السكتاب ثم اختلفت إلى الديوان وأنا ابن أربع عشرة سنة » وكان شغفه بالعلم واقباله عليه يحفز له للخروج قبل انبلاج الفجر فتأخذ أمه ثيابه وتقول حتى يؤذن الناس أو يصبحوا وأسترعت بحاجته بعض الذين عرفوه وقتئذ قال الهيثم بن جميل « إن عاش هذا الفتى فسيكون حجة على أهل زمانه » .

#### طلبه العلم :

عند ما بلغ السادسة عشر جلس إلى القاضي أبي يوسف صاحب أبي حنيفة . وروى الحافظ الذهبي في تاريخه عن الخلال أن الإمام أحمد كان قد كتب كتب الرأي وحفظها ثم لم يلتفت إليها . وشرح الله صدره للحديث فلزم هشيم بن بشير ابن أبي حازم الواسطي ( ولد سنة ١٠٤ وتوفي سنة ١٨٣ ) الذي انتهى إليه علم

الحديث في بغداد وكان هشيم ذا سمعة وهيبة رفعه خلقه وعلمه وتقواه وورعه فوق مستوى المنبت والمنشأ . فقد كان أبوه بخارى الأصل أقام فترة بواسط كان فيها — فيما يقال — طباخاً للحجاج بن يوسف — قال حماد بن زيد « ما رأيت في المحدثين أنبل من هشيم » وكان بعض المحدثين يقدمونه على سفیان الثوري — وروى عنه مالك بن أنس واثني عليه .

لزم الإمام أحمد هشياً « أربع أو خمس سنوات وسمع منه كل ما عنده ، وحفظ كل ما سمعه وروى صالح بن الإمام أحمد عن أبيه قال « كتبت عن هشيم سنة تسع وسبعين ، ولزمناه إلى سنة ثمانين ، وإحدى وثمانين ، واثنتين وثمانين وثلاث ، ومات في سنة ثلاث وثمانين وكتبنا عنه كتاب الحج نحواً من ألف حديث وبعض التفسير وكتاب القضاء وكتباً صغاراً وسأله ابنه صالح عن ذلك يكون ثلاثة آلاف قال أكثر » .

ومع هذه الملازمة ، فإنه كان يتردد على بعض مجالس المحدثين الآخرين فيروى أنه سمع من عمير بن عبد الله بن خالد قبيل موت هشيم وأنه سمع عن عبد الرحمن ابن مهدي وأبي بكر بن عياش .

وبعد موت هشيم أخذ الإمام أحمد يطلب الحديث من مختلف الشيوخ في بغداد نحواً من ثلاث سنوات وفي السنة السادسة والثمانين بعد المائة بدأ رحلاته للسمع من شيوخ الامصار كما كان الدأب وقمئذ فرحل إلى البصرة خمس مرات كان يقيم في بعضها قرابه ستة أشهر ، أو أقل ، ورحل إلى الحجاز خمس مرات لقي في بعضها الشافعي قال الإمام أحمد « حججت خمس حجج منها ثلاث راجلاً ، وانفقت في إحدى هذه الحجج ثلاثين درهما ، وقد ضللت في بعضها عن الطريق وأنا ماشى فجعلت أقول « يا عباد الله دلوني على الطريق » حتى وقعت على الطريق » ورحل إلى اليمن فسمع من عبد الرزاق بن همام ومسكت بها سنتين ورحل إلى الكوفة ، ووعد الشافعي بالرحلة إلى مصر ولكن حالت دون ذلك الحوائل . ولم ينثنى الإمام أحمد عن طلب العلم حتى عندما تقدمت به السن وصار اماماً وسأله أحد الناس عن هذا الطلب « إلى متى وقد بلغت هذا المبلغ وصرت إمام المسلمين » فقال بن حنبل قوله المأثور « مع الحبرة إلى المقبرة » .

ولعل أعظم من أثر فيه من هؤلاء الشيوخ بوجه خاص هما هشيم والشافعي .

وعن الأول أخذ الحديث وما ينبغي جلسه من وقار وما يجب له من دقة ، وعن الشافعي أخذ أصول الاستنباط الفقهي .

وكان الإمام أحمد حريصاً على لقاء بن المبارك والسماع منه . فذهب إلى مجلسه سنة تسع وسبعين ومائة أول سماعه من هشيم فقالوا قد خرج إلى طرسوس ونوفى سنة إحدى وثمانين ومائة ، كما تأثر بسفيان الثوري وألم بمحدثه قال عبد الرحمن بن مهدي عن أحمد « هذا أعلم الناس بمحدث سفيان الثوري » وكان كل من سفيان الثوري وعبد الله بن المبارك مثلاً في الجمع ما بين العلم والعمل . . والقوة والورع . . وهي الصفات التي نجلها بارزة لدى بن حنبل . وكان الإمام أحمد يرغب الاستماع إلى مالك ولكنه مات قبل أولى رحلاته قال « فأتى مالك فأخلف الله على سفيان ابن عيينه . وفاتني حماد بن زيد فأخلف الله على اسماعيل بن علية » .

#### جلوسه للتدريس :

وعند ما بلغ الإمام أحمد أربعين عاماً جلس للدرس والفتوى بعد أن عرف فضله وظهر علمه وقصده الناس للسؤال وكان مجلسه تلقه السكينة ويفشأه الوقار . نقل الذهبي في تاريخه عن المروزي صاحب أحمد « لم أر الفقير في مجلس أعز منه في مجلس أبي عبد الله . كان مائلاً إليهم مقصراً عن أهل الدنيا ، وكان فيه حلم . ولم يكن بالمعجول بل كان كثير التواضع والوقار إذا جلس مجلسه بعد العصر لا يتسكلم حتى يسأل » وقدر الذين يحضرون درسه بالمسجد بعد صلاة العصر بقراءة خمسة الاف يكتب منهم خمسمائة ، كما كان له بالإضافة إلى درسه العام درس خاص يلقي فيه خاصة تلاميذه .

ولو حظ في هذه الدروس أن الإمام أحمد بن حنبل كان يعود إلى مراجعة المكتوبة ، ولا يكتفي بحافظته القوية تمرزاً واحتراساً وأخذاً بالأحوط والاثبت وحرصاً على الدقة قال ولده عبد الله « ما رأيت أبي حدث من حفظه من غير كتاب إلا بأقل من مائة حديث » وربما ذكر الحديث من ذاكرته فإذا أرادوا كتابته استمهلهم حتى يملهم إياه من الكتاب قائلاً الكتاب أحفظ شيء . وكان يحث أصحابه وتلاميذه على أن لا يحدثوا دون كتاب ، وكان على بن المديني لا يحدث إلا من كتاب وقال « ان سيدي أحمد بن حنبل أمرني أن لا أحدث إلا من كتاب » . وبقدر هذا التشديد في كتابة الحديث النبوي كان الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه يرفض

أن تكتب فتاويه ويكره أن ينقلها أصحابه عنه . قال أحمد بن الحسين بن حسان  
« قال رجل لأبي عبد الله أريد أن اكتب هذه المسائل فأني أخاف النسيان فقال  
أحمد بن حنبل لا تكتب فأني أكره أن اكتب رأئي » وأحسن مرة بإنسان يكتب  
ومعه الواح في كفه فقال لا تكتب رأيا لعل أقول الساعة بمسألة ثم أرجع عنها غداً  
ويروى أن عبد الملك بن عبد الحميد اليموني المتوفى سنة ٢٧٤ قال « سألت أبا عبد الله  
عن مسائل نكتبها فقال أي شيء تكتب يا أبا الحسن فلو لا الحياء منك ما تركت  
تكتبها ، وأنه على لشديد والحديث أحب إلي منها قلت إنما تطيب نفسي في الحل  
عنتك . إنك تعلم أنه منذ مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد لزم أصحابه قوم  
ثم لم يزل يكون للرجل أصحاب يلزمون ويكتبون قال من كتب ؟ قلت أبو هريرة  
وكان عبد الله بن عمر<sup>(١)</sup> يكتب فقال لي فهذا الحديث فقلت له فما المسائل إلا حديث  
ومن الحديث تشقق » وربما أنكر نسبة ما يكتب من فتاويه إليه أو يذكر الرجوع  
عنها تبييها عن كتابتها . ولا يتراجع عن ذلك إلا في حالات خاصة كالفى وردت  
في المنهج الأحمد من أن أسحق بن منصور الروزي المتوفى سنة ٢٥١ نقل عن الإمام  
أحمد بن حنبل فلما أعلن الإمام أحمد رجوعه عن هذه المسائل جمع أسحاق تلك المسائل  
في جراب وحملها على ظهره وخرج راجلاً إلى بغداد وهي على ظهره وعرضها على أحمد  
واحدة واحدة فأقر له بها وأخذ العجب منه . مما يدل على أن إعلان الإمام أحمد  
الرجوع أو إنكاره نسبتها إليه لا يعود إلى خطأ وإنما المقصود به عدم حمل الناس على  
الالتزام بها لأنها اجتهاد منه ولأنه لم يكن يستجيز تدوين شيء إلا الكتاب والسنة  
سواء في ذلك فتاويه أو فتاوى غيره حتى وإن كان يقدرهم تقديراً كبيراً كعبد الله  
ابن المبارك والشافعي . وكان له في هذا نظر نافذ وحكمة بالغة وإن لم يأخذ الناس بذلك  
فجموا آراءه وجعلوها أصلاً للفقهاء الحنبلية .

كما يلحظ أن الإمام أحمد رحمه الله لم يكن يحدث ابتداء ، ولم يكن هو الذي  
يستهل بالدرس . وإنما كان يرد على الأسئلة . فإذا لم يسأله أحد لم يتسكلم . روى  
ابن الجوزي عن أبي حاتم الرازي « أتيت أحمد بن حنبل في أول ما التقيت به في سنة

(١) هكذا جاء بالأصل « للمنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد بن حنبل وهو  
مخطوط بدار المكتبة المصرية وأصل مخطوطها عبد الله بن عمرو لأنه هو الذي كان يكتب وكان  
يطلق على مخطوطه الصادقة .

ثلاث عشرة ومائتين ، وإذا هو قد أخرج معه إلى الصلاة كتاب الأشربة وكتاب الإيمان فصلي فلم يسأله أحد فرده إلى بيته ، واتيته يوماً آخر فإذا هو قد أخرج السكتابين فظننت أنه يحتسب في إخراج ذلك لأن كتاب الإيمان أصل الدين وكتاب الأشربة يفرق الناس عن الشرف فإن أصل كل شر من السكر .

ولم يكن مجلس الإمام أحمد مجلس علم فحسب ، لأن شخصية أحمد بن حنبل نفسه لم تكن تقل عن علمه ، وكان السكتيون يحتسبون الجلوس إليه ، والتعرف على هديه وخلقه والتأدب بادبه . وروى بن الجوزي في المناقب عن بعض أصحابه « أختلفت إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل اثنتي عشرة سنة ، وهو يقرأ بالمسند على أولاده ، فما كتبت منه حديثاً واحداً وإنما كنت أميل إلى هديه وأخلاقه وآدابه . »

وهذه الملاحظات في مجموعها تصور الشخصية الفريدة للإمام أحمد من تشدد وثبت فيما يتعلق بالكتاب والسنة . وعزوف وانصراف عن الناس مهما علت مراتبهم واعتبار العلم أداة لهدى الطالبين واجابة للسائلين والالتزام بالسمت والأدب والسكينة والتواضع ، والبعد عن - بل انتفاء - التشدد والزهو بالعلم والمعرفة . وأن يكون ظاهر المرء وباطنه ، علمه وعمله سواء وهي منازل لا يقدر عليها إلا القلة المصطفاة . وبحق قال الإمام يحيى بن معين - وهو من هو - « أراد الناس منا أن نكون مثل أحمد بن حنبل ، والله ما نقوي أن نكون مثله ولا نطبق سلوكه طريقه . »

#### تقدير معاصريه له وثناؤهم عليه :

لقد كانت هذه الخلائق من العلم والعمل محل تقدير كل علماء عصره ، فشهدوا له وكتبوا عنه الكتب ، فأفرد البيهقي سيرته في مجلد ، كما أوردتها بن الجوزي في المناقب ، واثبتها في مجلد لطيف أبو اسماعيل الأنصاري . وأورد سيرته بإفاضة الحافظ بن كثير صاحب البداية والنهاية والحافظ الذهبي (أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي) في تاريخه مطولاً ومسهلاً والخطيب البغدادي في كتابه «تاريخ بغداد» .

وفيا يلي بعض أقوال معاصريه عنه نقلت عن هذه المراجع . قال حرمله سمعت الشافعي يقول خرجت من بغداد فما خلفت بها رجلاً أفضل ولا أعلم ولا أفقه من أحمد ابن حنبل . وقال علي بن المديني إن الله أيد هذا الدين بأبي بكر الصديق يوم الردة

وبأحمد بن حنبل يوم المحنة . وقال أبو عبيد إنتهى العلم إلى أربعة أفقهم أحمد وقال البخارى لما ضرب أحمد بن حنبل كسنا بالبصرة فسمعت أبا الوليد الطيالسي يقول لو كان أحمد في بني إسرائيل لسكان أحدوثه ، وقال السهيلي بن الخليل لو كان أحمد في بني إسرائيل لسكان نبياً ، وقال المزني أحمد بن حنبل يوم المحنة وأبو بكر يوم الزده وعمر يوم السقيفة وعثمان يوم الدار وعلى يوم الجمل وصفين ، وقال بشر بن الحافي بعد ما ضرب أحمد بن حنبل أدخل أحمد الكبير فخرج ذهاباً أحمر وقال الميموني قال لي علي بن المديني بعد ما امتحن أحمد ياميمون ما قام أحد في الإسلام ما قام أحمد بن حنبل فمعبت من ذلك عجباً شديداً وذهبت إلى أبي عبيد القاسم بن سلام فحكيت له مقالة علي بن المديني فقال صدق . إن أبا بكر وجد يوم الردة أعواناً وأنصاراً وأن أحمد بن حنبل لم يكن له أنصار ولا أعوان ثم أخذ أبو عبيد يعطري أحمد ويقول لست أعلم في الإسلام مثله ، وقال اسحق بن راهوية أحمد حجة بين الله وبين عبيده في أرضه . وقال علي بن المديني إذا ابتليت بشيء فأفتاني أحمد بن حنبل لم أبال إذا لقيت ربي عز وجل كيف كان . وقال الخلال سمعت أبا القاسم بن الجبلي وكفاك به يقول أكثر الناس يظنون أن أحمد إذا سئل كأن علم الدنيا بين عينيه . وقال إبراهيم الحربي رأيت أحمد كأن الله جمع له علم الأولين والآخرين ، وقال عبد الرزاق ما رأيت أفقه من أحمد بن حنبل ولا أروع ، وقال المزني قال لي الشافعي رأيت ببغداد شاباً إذا قال حدثنا قال الناس كلهم صدق قلت من هو قال أحمد بن حنبل ، وعن حجاج بن الشاعر رأيت روحاً في جسد أفضل من أحمد بن حنبل . وعن محمد بن إبراهيم البوشنجي قال ما رأيت أجمع في كل شيء من أحمد بن حنبل ، ولا أعقل ، وقال الحسين الكرابيدي مثل الذين يذكرون أحمد عندنا مثل قوم يميئون إلى أبي قبيس يريدون أن يهدموه ، وقال يحيى بن معين كأن في أحمد بن حنبل خصال ما رأيتها في طلم قط كان محدثاً ، وكان حافظاً ، وكان طاملاً ، وكان ورعاً وكان زاهداً وكان طاقلاً وقال الذهلي اتخذت أحمد حجة فيما بيني وبين الله وقال أبو بكر محمد بن محمد بن رجاء ما رأيت مثل أحمد بن حنبل ، ولا رأيت من رأى مثله . وقال سمعت قتيبة يقول إذا رأيت الرجل يحب أحمد فاعلم أنه صاحب سنة .

هذه هي بعض أقوال معاصرين فيه ، وهي تدل على إعجاب شديد وتوقير كبير ، وفي بعضها ما يفسح مجالاً لتصور المبالغة ، لولا أن عمل الرجل نفسه وأثره في تلاميذه

يتنى ذلك . فمن يحيا مثل حياة أحمد بن حنبل ، ومن يصمد صموده يوم المحنة ، ومن يخرج للناس مثل المسند ، ومن يطبع تلاميذه بطابع التقوى والصلابة في الحق - وهي كلها حقائق واقعة - لا يستكثر عليه ما قيل فيه ، وعلى كراهة الأتقياء لأحاديث المديح والثناء . فإن يحيى بن معين ، عندما أكثر جلساؤه الثناء على أحمد بن حنبل وقال رجل لا تستكثروا . بعض هذا قال « وكثرة الثناء على أحمد تستكثر؟ لوجلسنا مجالسنا بالثناء عليه ما ذكرنا فضائله بكأهاها » .

والحق أن شخصية الإمام أحمد بن حنبل وخلقه القوي وترفعه عن الدنيا وزهده في زخرف الدنيا هو ما لا يقل قيمة وأثراً عن جمع الإمام أحمد للمسند أو موقفه يوم المحنة ، لأنه أورت أتباعه هذا الخلق بحيث كاد أن يكون طابعاً عاماً يغلب عليهم ، وقد وصف أبو الوفاء بن عقيل الفقيه الحنبلي المتوفى سنة ثلاث عشرة وخمسمائة أصحابه الإمام أحمد بعد مرور زهاء ثلاثة قرون .

« هم قوم خشن ، تقلصت أخلاقهم عن المخالطة ، وغلظت طباعهم عن المداخلة ، وغلب عليهم الجذوقل وعندهم الهزل وعربت نفوسهم عن ذل المراعاة . وفزعوا عن الآراء إلى الروايات وتمسكوا بالظاهر تحوجاً من التأويل وغلبت عليهم الأعمال الصالحة فلم يدققوا في العلوم الغامضة ، بل دققوا في الورع وأخذوا مظهر من العلوم ، وماوراء ذلك قالوا الله أعلم بما فيها خشية من بارئها » .

ونسب دخول المذهب الحنبلي إلى روع أصحابه « هذا المذهب إنما ظلمه أصحابه ، لأن أصحاب أبي حنيفة والشافعي إذا برع واحد منهم في العلم تولى القضاء وغيره من الولايات ، فسكات الولاية سبباً لدرسه واشغاله بالعلم .

أما أصحاب أحمد ، فإنه قل فيهم من تعلق بطرف من العلم إلا ويخرجه ذلك إلى التعبد والزهد لغلبة الخير على القوم فينقطعون عن التشاغل بالعلم » .

فإذا كان هذا هو حال أصحاب أحمد بعد ثلاثة قرون من وفاته ، فلنا أن تصور أثره في تلاميذه ومريديه الذين جلسوا إليه وتأدبوا بأديه وبحق قال تلميذه أحمد بن محمد بن هاني أبو بكر الأقرم « أحمد بن حنبل رضى الله عنه ستر من الله على أصحابه فينبغي لأصحاب أحمد أن يتقوا الله ولا يعصروه مخافة أن يعيروا بأحد » ورفض تلميذه الآخر إبراهيم بن اسحق الحربي أن يقبل عشرة آلاف درهم أرسلها الخليفة المعتضد ،

فَسأله أن يفرقها على جيرانه فقال للرسول طافك الله هذا مال لم نشغل أنفسنا بجمعه  
فلا نشغلها بتفريقه . قل لأمير المؤمنين إن تركتنا ، وإلا تحوانا من جوارك ! .

### صفته وأدبه :

قال الحافظ الذهبي في كتابه « تاريخ الإسلام » .

قال عبدالله بن عبدالرحمن الذهبي حدثني أبي قال مضى عمي أبو إبراهيم أحمد  
بن سمد إلى أحمد بن حنبل فسلم عليه فلما رآه وثب قائماً وأكرمه .

وعن عباس النحوي قال رأيت أحمد بن حنبل حسن الوجه ربة يخبض بالحناء  
خضاباً ليس بالقاني وفي لحيته شعرات سود ورأيت ثياباً غليظة إلا أنها بيض ورأيت  
معتماً وعليه ازار .

قال المروزي قال أحمد « ما كتبت حديثاً إلا قد عملت به ، حتى مر بي أن النبي  
صلى الله عليه وسلم احتجم وأعطى أبا طيبة ديناراً فأعطيت الحجام ديناراً حين  
احتجمت .

وقال ابن أبي حاتم ذكر عبد الله بن أبي عمر البكري قال سمعت عبد الملك  
الميموني يقول « ما أعلم إنى رأيت أحداً أنظف ثوباً ولا أشد تماهداً لنفسه في شارب  
وشعر رأسه وشعر بدنه ، ولا أتقى ثوباً وشده بياض من أحمد بن حنبل . »

وقال الخلال أخبرني محمد بن الجنيد أن المروزي حدثهم قال كان أبو عبدالله لا يدخل  
الحمام ، وكان إذا احتاج إلى النورة تنور في البيت ، وأصاحت له غير مرة النورة  
واشترت له جلدأ ليده يدخل يده فيه ويتنور .

قال حنبل رأيت أبا عبدالله إذا أراد القيام قال جلسائه إذا شتم .

قال عبد الملك الميموني « لم يكن أحد أنضر ثوباً ، ولا أشد تماهداً لنفسه في  
ثيابه وشعر رأسه وبدنه من أحمد ، وكان يحب الفقراء ويعرض عن أهل الدنيا ويجلس  
للفقهاء حيث إنتهى به المجلس ولا يتصدر ، حسن الجوار . لا يخشى في الله لومة  
لائم . »

قال المروزي كان الإمام أحمد إذا ذكر الموت خنقته العبرة وكان يقول الخوف يمنعني  
أكل الطعام والشراب .

وقال إذا ذكر الموت هان كل شيء من أمر الدنيا إنما هو طعام دوز، طعام ولباس دوز لباس وإنما أيام قلائل وما أعدل بالفقر شيئاً .

وقال أريد أن أكون في بعض تلك الشهاب بمكة حتى لأعرف وقد بيت بالشهرة إني لأتمنى الموت صباحاً ومساءً .

قال المروزي قلت لأبي عبدالله إني لأرجو أن يدعى لك في جميع الأمصار فقال يا أبا بكر إذا عرف الرجل قدر نفسه فما ينفعه كلام الناس .

وقال عبدالله خرج أبي إلى طرسوس ماشياً وحج حجتين أو ثلاثاً ماشياً ، وكان أصبر الناس على الوحدة . وقال كان أبي يصلي في يوم وليلة ثلاثمائة ركعة ، حتى مرض من تلك الأسواط أضعفته فسكان يصلي كل يوم وليلة مائة وخمسين ركعة وقال إسحق بن راهوية كنت أنا وأحمد باليمن عند عبدالرزاق وكنت فوق الغرفة وهو أسفل فاطلعت على أن نفقته فنيت فعرضت عليه فامتنع فقلت إن شئت قرضاً ، وإن شئت صلة فأبي فنظرت فإذا هو ينسج التسكك ويبيع وينفق رواها أبو إسماعيل الترمذي عنه .

وعن أبي إسماعيل قال أتى رجل بعشرة آلاف درهم من ربح تجارته إلى أحمد فأبي أن يقبلها .

قال عبدالله عن أبيه عرض على يزيد بن هارون نحو خمسمائة درهم فلم أقبلها .

وكان الإمام أحمد رضى الله قد ورث عقاراً ضئيل القيمة كان يغل في كل شهر سبعة عشر درهماً ، وكان يحاول الاكتفاء به قدر طاقه . وعند ما تنجأه حاجة أو تركبه ضرورة كان يعمد إلى العمل الميسر له مادام حلالاً ، ولم يكن هذا الإمام الجليل ليستنكف عن أن ينسج أو ينسخ ، بل ويؤجر نفسه للجمالين ، ويفضل هذا كله على قبول الصلوات التي كانت تعرض عليه في سخاء ، حتى عندما تأتي من بعض شيوخه كعبدالرزاق ، كما رفض رفضاً باتاً أن ينال شيئاً من الصلوات التي كان الواثق يصله بها ويفرض عليه قبولها ، ومن باب أولى فإنه كان يرفض كل عمل يربطه بنظام الحكم ويشركه فيما يقوم عليه أو يلتبس به .

### زوجاته وأولاده .

قال الخلال أخبرنا المروزي أن أبا عبدالله قال ما تزوجت إلا بعد الأربعين .

قال زهير بن صالح بن أحمد « تزوج جدى بأُم أبي عباس بنت الفضل من العرب فلم يولد له منها غير أبي ثم ماتت .

قال المروزي سمعت أبا عبد الله يقول « أقامت معي أم صالح ثلاثين سنة فما اختلفت أنا وهي في كلمة » .

وقال زهير لما ماتت عباسية تزوج جدى بعدها امرأة من العرب يقال لها ربحانة فولدت له عبد الله وحده .

وفي هذا نظر ، لأن عبد الله ولد للإمام أحمد وله خمسون سنة أى بعد زواجه من أم صالح بعشرة أعوام ، وفي رواية المروزي « أقامت معي أم صالح ثلاثين سنة الخ » كما أن من المعروف أن الإمام أحمد لم يتزوج إلا بعد أن فارب الأربعين .

قال زهير بن صالح لما توفيت أم عبد الله اشترى « حسن » فولدت منه زينب ثم الحسن والحسين توأماً وماتا بالقرب من ولادتهما ثم ولدت الحسن ومحمد فعاشا حتى صارا من السن إلى نحو من الأربعين ثم ولدت بعدهما سعيداً .

#### قضية المحنة :

نشأت هذه المحنة التي حملت اسم «خلق القرآن» من أن المعتزلة الذين كان لهم وقتئذ الحظوة لدى المأمون والغلبة الفكرية عليه كانوا ينقون الصفات عن الله تبارك وتعالى ورأوا أن التعبير السارى عن أن القرآن «كلام الله» يوحى بإثبات صفة ما ، فذهبوا إلى أن القرآن «مخلوق» ولم يعدوا الحجج من المنطق أو من تأويل بعض آيات القرآن الكريم ما يعززون به دعواهم وما يجعلهم يرون أن هذه المسألة هي من مسائل العقيدة الكبرى لأنها تتعلق بالله تعالى ، ومن ثم كان إصرارهم عليها وتمسكهم بها وإقحامهم أنفسهم في معركة ضارية بدأت أولاً بزل كل الدين يختلفون معهم في ذلك من المناصب ، ثم تطورت إلى مناظرة الشيوخ والعلماء وانتهت إلى الزام كل الشيوخ والعلماء القول بذلك وتهديد كل من يرفض لاضطراد قد يصل إلى حد القتل .

ومات المأمون قبل أن تصل الفتنة إلى مرحلتها الحاسمة ، ذلك أنه كان يؤثر المناظرة ، وأن هدد قبيل موته بحمل المخالفين على السيف . واستجاب كل الذين طولبوا القول لما أراد المأمون ، واعترفوا بدرجات متفاوتة - بخلق القرآن بحيث لم

يبقى في بغداد في النهاية سوى أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح فكبلا بالحديد وسيقا إلى المأمون في طرسوس ليأمر فيهما بأمره . واستشهد بن نوح في الطريق . قال الإمام أحمد « ما رأيت أحداً على حداثة سنه وقدر علمه أقوم بأمر من الله محمد بن نوح . وإني لأرجو أن يكون قد ختم له بخير . قال لي ذات يوم يا أبا عبد الله الله إنك لست مثلي . . إنك رجل يقتدى بك . قدمت الخلق أعناقهم اليك لما يكون منك فاتق الله واثبت لأمر الله أو محو هذا . فماتت وصليت عليه ودفنته » .

ومن غير بغداد مات عالم مصر يوسف بن يحيى البويطي صاحب الإمام الشافعي ، وهو في قيوده بعد أن رفض الإقرار بما يريدون . كما توفي في سجنه نعيم بن حماد .

وهكذا أصبح على الإمام أحمد بن حنبل أن يواجه وحده العاصفة ، وتبلورت فيه وحده القضية كلها . وكان له من الشهرة والإسم وأمل الناس فيه وتعلقهم به ما يجعل موقفه فاصلاً . ومن هنا كانت تلك الأهمية التي علقها معاصروه على موقفه . واعتبروه « صاحب المنة على الأمة » وشبهوا موقفه بموقف أبي بكر يوم الردة وعمر يوم السقيفة ولعلمهم أيضاً كانوا يستعلمون أن يرقوا به إلى « بدر » عندما قال النبي صلى الله عليه وسلم في ابتئال المأثور اللهم أن تهلك هذه العصاة لا تعبد بعد اليوم » .

ولسكن المأمون مات وأحمد بن حنبل في الطريق اليه فأعيد إلى بغداد وأودع السجن فترة ، ثم اتضح أن المأمون أوصى أخاه المعتصم بتابعة هذه القضية والسير فيها والاستمسك بأحمد بن أبي داود الذي كان يضرم جذوتها ويتولى كبرها . ومن ثم فقد حمل أحمد بن حنبل في قيوده بعد أن زيدت وضوعفت إلى المعتصم وأحمد بن داود حيث أرادوا مناظرته فكان رده المفحّم الذي تمسك به « أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسوله حتى أقول به » .

وكان المعتصم راغباً كل الرغبة في أن يرضخ الإمام أحمد بحيث لا يحتاج إلى استخدام القوة ، وحاول معه كل طرق الاسترضاء « يا أحمد والله إنني عليك أشفيق وإنني لأشفيق عليك كشفقتي على هرون ابني ماتقول . فأقول أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسوله » .

ومرة أخرى « يا أحمد أجبتني إلى شيء لك فيه أدنى فرج حتى أطلق عنك يدي قلت أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسوله فطال المجلس وقام ورددت إلي الوضع الذي كنت فيه » .

وظلت هذه المحاورات والمداورات ثلاث ليال حتى ضجر المعتصم وقال «العقابين»<sup>(١)</sup> والسياط « ف جاء الجلادون فقال لهم المعتصم تقدموا جعل كل جلاد يضرب الإمام أحمد سوطين والمعتصم يقول له شد قطع الله يدك ثم يتنحى ويقوم الآخر والمعتصم يقول في كل ذلك شد قطع الله يدك فلما ضرب تسعة عشر سوطاً من هذه السياط التي يستنزف كل اثنين منها فوه رجل قال المعتصم « يا أحمد علام تقتل نفسك إني والله عليك لشفيق ! وجعل عجيف ( أحد رجال المعتصم ) ينخسه بقائمة سيفه ويقول « أريد أن تغلب هؤلاء كلهم » وجعل بعضهم يقول وبلك الخليفة على رأسك قائم وقال بعضهم يا أمير المؤمنين دمه في عنقي فاقتله وجعلوا يقولون يا أمير المؤمنين أنت صائم، وأنت في الشمس قائم وهو يقول ويحك يا أحمد ما تقول والإمام أحمد لا يغير من قوله « أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسوله أقول به .. فيأمر الجلادين بالضرب قارنا الأمر بوصيته « شد قطع الله يدك ! » .

قال صالح قال أبي فذهب عقلي ، فأفقت بعد ذلك فإذا الأقياد قد أطلقت عني فقال لي رجل ممن حضر إننا كيبناك على وجهك وطرحنا على ظهرك بارية ودسناك . قال أبي فما شعرت بذلك وأتوني بسويق فقالوا لي أشرب وتقياً فقلت لأفطر ثم جئ بي إلى دار إسحق بن إبراهيم فحضرت صلاة الظهر فتقدم ابن سماعة فصلى فلما أُنقِلت من الصلاة قال لي صليت والدم يسيل في ثوبك فقلت قد صلي عمر وجرحه يشعب دمًا .

وكانت المدة منذ أن أخذ إلى أن ضرب وخلي عنه ثمانية وعشرين شهراً ، كان المعتصم فيها نهبة بين أن يلتزم بوصية سلفه المأمون وتوجيه مستشاره أحمد بن داود الذي لم يظل يؤكد له إن الإمام أحمد كافر مشرك قد أشرك من غير وجه . . وبين أن يدعه عندما أعجب بشجاعته وأخذته الشكوك في سلامة القضية كلها .

وفي الوقت نفسه فلم يكن أحمد بن أبي داود ليريد أن يقتل ، فعندما قال أحد أتباع المعتصم يا أمير المؤمنين إضرب عنقه ودمه في رقبتي قال ابن أبي داود لا يا أمير المؤمنين لا تفعل فإنه إن قتل أو مات في دارك قال الناس صبر حتى قتل فاتخذوه إماما ونبتوا على ما هم عليه ، ولكن أطلقه الساعة فإن مات خارجاً عن منزلك شك الناس في أمره .

(١) هي ، كما يفهم من السياق خشبتان يطلق عليهما ، أو يثبت عليهما من براد جلده .

وهكذا انتهى الرأي إلى الإفراج عن الإمام أحمد وعلان ذلك على الملأ ، حتى إذا مات وهو في بيته ، قال حنبل ابن اسحق لما أمر المعتصم بتخلية أبي عبدالله خلع عليه مبطنة وقيصاً وطيلساناً وخفياً وقلنسوة فبينما نحن على باب الدار والناس في الميدان والدروب وغيرها وأغلقت الأسواق إذ خرج أبو عبدالله على دابة من دار أبي اسحق المعتصم وعليه تلك الثياب وابن أبي داؤد عن يمينه واسحق بن إبراهيم يعني نائب بغداد عن يساره ، فلما صار إلى دهليز المعتصم قبل أن يخرج قال لهم ابن أبي داود اكشفوا رأسه فكشفوه يعني من الطيلسان فقط وذهبوا يأخذون به ناحية الميدان نحو طريق الحبس فقال لهم اسحق خذوا به ههنا يريد دجله فذهب به إلى الزورق وحمل إلى دار اسحق فأقام عنده إلى أن صليت الظهر وبعث إلى أبي وإلى جيراننا ومشايخ المحال فجمعوا وادخلوا عليه فقال لهم هذا هو أحمد بن حنبل إن كان فيكم من يعرفه ، وإلا فليعرفه فقال ابن سماعه حين دخل للجماعة هذا أحمد بن حنبل فإن أمير المؤمنين ناظر في أمره وقد خلى سبيله وهاهو ذا فأخرج على دابة لاسحق ابن إبراهيم عند غروب الشمس فصار إلى منزله ومعه السلطان والناس وهو منحني فلما ذهب لينزل احتضنته ولم أعلم فوقمت يدي على موضع الضرب فصاح فنحيت يدي فنزل متوكئاً على وأغلق الباب ودخلنا معه ورمى بنفسه على وجهه لا يقدر يتحرك إلا بجهد وخلع ما كان قد خلع عليه فأمر به فبيع ، وأخذ ثمنه فتصدق به .

وآوى الإمام أحمد بن حنبل إلى بيته ووجه إليه من يبلغ خبره يوماً بعد يوم ، ومن يعالج جروحه ، وكان قد أصيب في غير موضع وظل أثر الضرب بينا في ظهره إلى أن توفي وظلت ابهاماه متخلعتين تضربان عليه في البرد حتى يسخن له الماء . وجعل الإمام أحمد كل من أصابه في حل الا مبتدع مطبقاً قول الله تعالى « وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم » ومتبعاً توجيه النبي صلى الله عليه وسلم بالعفو عن مسطح قائلاً العفو أفضل .

وعاد الامام أحمد إلى مجلسه بالمسجد ودرسه حتى مات المعتصم وولى الواثق . وواصل سياسة سلفه في الأخذ بخلق القرآن ، ولكنه لم يشأ أن يعيد القصة مع الامام أحمد بعد أن رأى أنها أكسبته المهابه والجلال والمحبه والتقدير فأرسل إليه نائبه اسحق ابن إبراهيم برسالة في موهن الليل « يقول لك الأمير إن أمير المؤمنين قد ذكرك ( ٢٩ — الفتح الرباني — ج ٢٤ )

فلا يجتمع من إليك أحد ولا تسأكني بأرض ولا مدينة أنا فيها فاذهب حيث شئت من أرض الله .

وأختفى الامام أحمد قال إبراهيم بن هاني اختفى أحمد بن حنبل عندي ثلاثة أيام ثم قال اطلب لي موضعاً قلت لا آمن عليك قال افعل فطلبت له موضعاً فلما خرج قال لي اختفى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار ثلاثة أيام ثم تحول .

وظل الامام أحمد على هذا الحال حتى توفي الوائق وولى المتوكل ، فأنهى تلك المأساة ووضع ختامها بعد أن ثبت فشلها وكتب للمتوكل إلى اسحق بن إبراهيم برفع الحظر على الامام أحمد واكرامه . وأرسل إليه كتاباً ومعه بدرة وقال للامام أحمد إنه قد صح عند أمير المؤمنين براءة ساحتك وقد وجه إليك بهذا المال تستعين به فأبى أن يقبله وقال مالي إليه حاجة فقال يا أبا عبد الله اقبل من أمير المؤمنين ما أمرك به فإن هذا خير لك عنده فاقبل ولا ترده فانك إن رددته خفت أن يظن بك سوءاً حينئذ قبلها ، ولكنه لم يستطع النوم ، فلما كان السحر أرسل إلى بعض أصحابه ووجههم إلى توزيع المال على من يعلمون من أهل الستر والصلاح ببغداد والسكوفة ففرقوها كلها فما بقي في السكيس درهم ثم تصدق بالسكيس نفسه على مسكين .

والحقيقة أن ولاية المتوكل وإن انتهت فصل الاضطهاد في تلك المأساة إلا أنها فتحت فضلاً آخر هو فصل الاضطهاد فقد حاول المتوكل بكل طريقة أن يجتذب إليه الامام أحمد ويجمعه من خالصائه ورفض الامام أحمد ذلك ، بل رفض أن ينال من أحمد بن أبي داود أو يذكره بشيء مع أنه الذي تولى كبر هذه الفتنة وشهد على الامام أحمد أنه « أشرك من غير وجه » وأجبره المتوكل على الذهاب إليه واضطر الامام لأن يذهب ولكنه لم يقبل ضيافة المتوكل ، فلم ينزل في الدار التي أعدها له ، ولم يأكل من المائدة التي رتبها له ، بل لقد أمرضه هذا كله ، واحتج بهذا المرض في رفض الأكل والشراب واللقاء ووجه إليه المتوكل بمسال عظيم فردده فقال عبيد الله بن يحيى بن خافان فإن أمير المؤمنين يأمرك أن تدفعها إلى ولدك وأهلك قال هم مستغنون فردها عليه فأخذها عبيد الله فقسما على أهله وولده ثم أجرى المتوكل على أهله وولده أربعة آلاف في كل شهر فبعث إليه الامام أحمد أنهم في كفايه وليست بهم حاجة فبعث إليه المتوكل إن هذا لولدك مالك ولهذا فأمسك .

ولما طالت العلة به أرسل المتوكل ابن ماسويه الطبيب فزاره ثم عاد إلى المتوكل وقال إنه ليست به علة في بدنه إنما هو من قلة الطعام والصيام والعبادة. فسكت المتوكل.

وأمر المتوكل بشراء دار للإمام أحمد ولكن الامام رفض ذلك قائلاً إنما يريدون أن يصيروا هذا البلد لي مأوى ومسكناً قال صالح فلم نزل ندفع شراء البيت .

وأكربت هذه الرعاية الامام أحمد كرباً شديداً حتى كان يبكي ويقول سلت من من هؤلاء ستين سنة حتى إذا كان في آخر عمرى بليت بهم والله لقد تمنيت الموت في الأمر الذي كان (أى في فتنة المعتصم) وانى لآتمنى الموت في هذا وذلك أن هذا فتنة الدنيا وذلك فتنة الدين ثم جعل يضم أصابعه ويقول لو كانت تقسى في يدي لأرسلتها ويفتح أصابعه .

وكان المتوكل يوجه في كل وقت يسأل عن حاله ويأمر لآله بالمال دون أن يعلم الامام أحمد بذلك . وحسن رأيه في الامام أحمد بعد مارأى من صدوده حتى رفض فيه كل الوشايات وعندما قالوا له إنه لا يأكل من طعامك ، ولا يجلس على فراشك ويحرم الذي تشرب قال لهم « لو نشر المعتصم وقال فيه شيئاً لم أقبل منه » .

ولما تأكد المتوكل من عقم كل محاولاته اصطناع الامام أحمد أو تقريبه . سمح له بالعودة وأذن له في الانصراف فجاى عبيد الله بن يحيى وقت العصر وقال للامام أحمد إن أمير المؤمنين قد أذن لك ، وأمر أن تفرش لك حراقة<sup>(١)</sup> تتحدر فيها فقال أبو عبدالله أطلبوا لي زورقاً فأتى محدر فيه الساعه فطلبوا له زورقاً فأتى محدر من ساعته .

قال حنبل ، فما علمنا بقدمه حتى قيل لي إنه قد وافى فاستقبلته بناحية القطيعه وقد خرج من الزورق فشيت معه فقال لي تقدم لآيرالك الناس فيعرفونى فتقدمت بين يديه حتى وصل إلى المنزل فلما دخل ألقى نفسه من التعب والعياء .

وكان في حيانه ربما استعار الشيء من منزلنا ومنزل ولده فلما صار إلينا من مال السلطان ما صار امتنع عن ذلك .

وانتهى بذلك أمر المحنة بعد أن استمر أربع عشرة سنة ثبت لها الامام أحمد ابن حنبل ثبات المؤمنين الصادقين .

(١) أى سفينة خفيفة خاصة .

وقد وقف الامام أحمد رضى الله عنه موقفين جديرين بالتأمل والتقدير .  
الأول : موقف الصلابة والبطولة وإبشار الموت على التفريط أو التسليم ، وأن  
« التقية » لا يمكن أن تقبل من الامام الداعية القدوة وان قبلت من سواد الناس  
وجماهيرهم .

والثانى : العبارة التى أوجلت فيها الامام أحمد رضى الله عنه رده على هؤلاء المعزلة  
فرسان الكلام وأئمة الجدل . فقد رفض أن يدخل فى نقاش ، وتمسك بصيغه واحدة  
محددة لا لبس فيها « أعطونى شيئاً من كتاب الله أو سنة رسوله حتى أقول فيه » وقد  
أجل الامام أحمد فى كلمته هذه المذهب الأمثل والعقيدة السليمة ، فلم يأت القرآن  
أو الحديث بشيء فى هذا المجال ، فإن الجدل والرأى وإعمال الفكر مستبعد تماماً ،  
ولا محل له لأنه يتعلق بصفات الله عز وجل . وهى صفات لا يدركها العقل البشرى  
ولا تخضع لأحكامه أو تصوراته — ولو جاز أن يهتدى إليها العقل لما كان ثمة حاجة  
لإرسال الرسل وبعثة الأنبياء ولجاز أن يقوم بهذا الفلاسفة أو العلماء . فالذين يتصورون  
أن العقل البشرى يستطيع أن يدرك صفات الله تعالى ، إنما يطمعون الدين ويحاولون  
هدمه وخذع الناس بمقترباتهم ( وما يخذعون إلا أنفسهم وما يشعرون ) .

وكل ماسوى الايمان القلبي فى هذا المجال فهو مجازفة خطيرة ، وأخذ بأقيسة باطلة .  
واعتماد على براهين عاجزة أو فاسدة ، وتوريط للنفس فى متاهات دون هدى أو دليل ،  
ولعل الامام أحمد رضى الله عنه كان يستطيع أن يفند هذه الدعوى ويدخل فى الجدل  
ولسكنه آثر أن يقف موقف أهل السنة ، وأن يضع — فى هذه المسألة الكبرى من  
مسائل الاعتقاد — السنة والاتباع فى مواجهة الهوى والابتداع ، لأذ هذا الوضع  
هو الوضع الحاسم فى هذه القضية — ولأن الاجتهاد مستبعد أصلاً فى هذا المجال  
بحيث لا يمكن التفكير فيه كوسيلة للانتصار وكسب الخصوم . فالامام أحمد كان  
يرى حل المشكله إنما يكون فى « الموقف » الذى وقفه وبالتالى لا يكون هناك داع  
لحل آخر . ولو أراد مثل هذا الحل لما أعوزه ، ولما كان يمجزه أن يقول ما قاله واحد  
من طامة المسلمين عندما جابه أحمد بن أبى داود « شئ لم يدع إليه رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ، ولا أبو بكر ، ولا عمر ، تدعون أنت الناس إليه . . . ليس يخلو أن تقول  
علموه أو جهلوه . فإن قلت علموه وسكتوا عنه وسعنى وإياك من السكوت ماوسع  
القوم ، وإن قلت جهلوه وعلمته أنت ، فيالكع بن الكع : يجهل النبي صلى الله عليه  
وسلم والخلفاء الراشدون رضى الله عنهم شيئاً وتعلمه أنت » .

كما لم يكن ليدق على ذكاه الامام أحمد وفراسته ما أدركه أحد اتباع الوراق  
عندما دخل عليه يوماً وقال له « يا أمير المؤمنين أعظم الله أجرك في القرآن » فقال  
وبلك القرآن يموت ؟ قال يا أمير المؤمنين كل مخلوق يموت .

كان الامام أحمد رحمه الله يستطيع أن يقول شيئاً كهذا ولكنه لم يكن يريد  
خلاصاً من محنة أو انتصاراً على الخصوم ولكن تقريراً لمبدأ، ونحيداً لموقف وكيف  
يميل الامام أحمد ويجادل في عقيدة وهو الذي يحمل بين جنبيه كتاب الله وتمتجج  
روحه بالسنة المطهرة ومن هنا قال « أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسول الله  
حتى أقول به » .

وفي كلام الامام أحمد ، وفي كثير من كتبه ووصاياه بين أن الموقف السليم  
هو ترك الجدل والمراء واطراح الخصومات والأهواء والمواقف عند السنة المطهرة ،  
وعدم افساد القلوب بهذه الشبه والاستدلال على الله بهديع صنعه وسابغ نعمه بل  
الاستدلال عليها بمخالفتها ومبدعها جل جلاله .

ذكر مرضه ووفاته رحمه الله :

قال المروزي : مرض أبو عبد الله ليلة الأربعاء ليلتين خلتا من ربيع الأول ومرض  
تسعة أيام ، وكان ربما أذن للناس فيدخلون عليه أفواجاً يسلمون عليه ويرد عليهم  
بيده وتسامع الناس وكثروا ، وسمع السلطان بكثرة الناس فوكل السلطان ببابه وبباب  
الزقاق الرابطة الأخبار ثم أغلق باب الزقاق فسكان الناس في الشارع والمساجد حتى  
تعطل بعض الباعة وحيل بينهم وبين البيع والشراء ، وكان الرجل إذا أراد أن يدخل  
إليه وصل من بعض الدور وطرر الحاكة وربما تسلق وجاء أصحاب الأخبار فقمعدوا  
على الأبواب وجاءه حاجبة ابن طاهر فقال إن الأمير يقرئك السلام وهو يشتهي أن  
يرالك فقال هذا مما أكره وأمر المؤمنين أعفاني مما أكره وأصحاب الخبر يكتبون  
تعبه إلى المسكر والورد فتختلف كل يوم وجاء بنو هاشم فدخلوا عليه وجعلوا يبكون  
عليه ويطأون من النخلة وغيرهم فلم يؤذن لهم فلما كان قبل وفاته بيوم أو يومين  
قال أصحابه ان السبيات فمات قبل جعلوا ينضمون إليه وجعل يشمهم ومسح بيده

بعضهم بعضاً

فمات في ليلة الأربعاء من ربيع الأول سنة ثمان وعشرين وأربعمائة  
بعضه في بعضه من السبيات والشوارع .

قال البخاري مرض أحمد بن حنبل لليليتين خلنا من ربيع الأول ومات يوم الجمعة  
لاثنى عشرة خلت من ربيع الأول .

قال صالح وجه ابن طاهر يعني نائب بغداد بحاجبه مظفر ومعه غلامين معهما مناديل  
فيها ثياب وطيب فقالوا الأمير يقرئك السلام ويقول قد فعلت ما لو كان أمير المؤمنين  
حاضراً كان يفعل ذلك فقلت أقرىء الأمير السلام وقل له إن أمير المؤمنين قد كان  
أعفاه في حياته مما يكره ، ولا أحب أن أتبعه بعد موته بما كان يكرهه في حياته فعاد  
وقال يكون شعاره فأعدت عليه مثل ذلك . وقد كان غزات له الجارية ثوبا عشاريًا  
قوم بثمانية وعشرين درهما ليقطع منه قبضين فأدرجناه في ثلاث لفائف واشترينا له  
حنوطا وفرغ من غسله وكفنناه وحضر نحو مائة من بني هاشم ونحن نكفنه وجعلوا  
يقبلون جبهته حتى رفعناه على السرير .

قال عبدالله بن أحمد صلى على أبي محمد بن عبدالله بن طاهر غلبنا على الصلاة عليه ،  
وقد كنا صليما نحن والهاشميون في الدار .

قال صالح وجه ابن طاهر من يصلى عليه قلت أنا فلما صرنا إلى الصحراء إذا ابن طاهر  
واقف نخطا إلينا خطوات وعزانا ووضع السرير فلما انتظرت هنيهة تقدمت وجعلت  
أسوى صفوف الناس فجاءني ابن طاهر ، فقبض ( ابن طالون ) على يدي ومحمد بن نصر  
على يدي وقالوا الأمير فأنعمتهم فنحنياي وصلى ولم يعلم الناس بذلك — فلما كان من  
الغد علم الناس فجعلوا يجيئون ويصلون على القبر ، ومكث الناس ماشاء الله يأتيون  
فيصلون على القبر .

وحضر جنازته جمع حاشد لم ير مثله في جاهلية أو إسلام وقدرته بعض المراجع  
بألف ألف وثلثمائة ألف ، بينما قدرته مراجع أخرى بسبعمائة ألف ، وقيل حضرها من  
الرجال ثمان مائة ألف ومن النساء ستون ألفاً .

فكانت الجنازة جليلة مهيبة ، وحدثاً فذاً ورزقت من حرص الناس عليها ما جعل  
التخليفة ، الذي كان غائباً وقتئذ عن بغداد يقول لنايبه ( محمد بن عبد الله بن طاهر )  
« طوبى لك محمد .. صليت على أحمد بن حنبل رحمه الله » .

ولو أردنا تقصي عناصر القوة والثبات في هذه الشخصية الفريدة رأيناها كلها  
تدور حول محور واحد ، ذلك هو التجرد لله ، الذي قام على أركانها الإيمان العميق

بالله تعالى وأنه وحده الخالق القادر القاهر فوق عباده ، وأن من دونه لا يمكن أن يكون لأنفسهم ، أو لغيرهم شيئاً ومن هذا الإيمان استمد شجاعته وثباته أمام كل القوى الباطنة أو المغريات الدنيوية . ومنها الاقتداء بسيرة النبي ﷺ بحيث أصبحت منهجه في حياته وسلوكه وأكله وشربه ولبسه وأدبه فقد تشرب السنة واصطبغ بها ، ومنها الانصراف عن زخرف الحياة ومتاعها والرضا بالكفاف والابتعاد عن كل ما يضيع الوقت أو يشغل النفس عن العلم والحديث .

وأخيراً ما وهبه الله من توفيق أطانه على أن يلزم نفسه هذا الطريق ، ويأخذها بما يتطلبه من زهد ، وينأى بها عن سفاسف الأمور . قال الشافعي خرجت من بغداد فما خلفت بها رجلاً أفضل ، ولا أعلم ولا أفقه ولا أتقى من أحمد بن حنبل وقال عبد الرزاق مارأيت أفقه من أحمد بن حنبل ولا أروع وقال الزعفراني مارأيت أعدل من أحمد ابن حنبل وسليمان بن داود الهاشمي وقال محمد بن إبراهيم البوشنجي مارأيت أجمع في كل شيء من أحمد بن حنبل ولا أعدل .

بهذه الصفات كان أحمد بن حنبل رجلاً عالمًا زاهداً ، ورعاً قوياً ، من الذين تزيدهم العبادة قوة وهمة تخرج على الناس بهذا الكتاب الجامع « المسند » ليكون للناس إماماً .

رحم الله أبا عبد الله رحمة واسعة وأثابه بما قدم من خلق رفيع وعلم غزير تقبيل منه الأجيال جيلاً بعد جيل حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## ترجمة المؤلف

ولد المؤلف رحمه الله في قرية من قرى مصر ومن أعمال مديرية الغربية هي قرية شمسية المطلة على النيل واجل ما فيها سلم حجرى يمتد من المسجد إلى النيل ليتوضأ من يريد الوضوء من ماء النهر .

وقبل أن تضعه والدته رأت في منامها من يقول لها إذا وضعت فسم مولودك (أحمد) واحرصى على تحفيظه القرآن .

وشب الصغير وتجاذبت أهواء القرية ، وكان والده فلاحاً يحرص على زراعة أرضه وأراد أخو المؤلف أن يحمل الصغير على أن يعمل معه في الفلاحة والزراعة ، ولكن أمه لم تنس الرؤيا التي رأت وتشبثت به دون الأرض وقالت خذوا الأرض وما فيها واتركوا نشأة ولدى أنثته على ما أريد ، وكان والده الشيخ عبد الرحمن البنا رجلاً صالحاً لا يقف ضد رغبة طيبة فوافق والده الصغير على رأيها .

والتحق الصبي بكتاب القرية ، ونذرت والدته للقرآن والعلم ، وحفظ القرآن الكريم وتعلم أحكام التجويد على يد معلم القرية الذى جرى العرف على أن يطلق عليه فى قرانا إسم ( سيدنا ) وهو الشيخ محمد أبو رفاعى وكان كفيماً تقياً بفيض وجهه اشراقاً وبشرا .

وجاءت المرحلة الثانية ، مرحلة أن يدرس الصبي علوم الشريعة بفروعها من الفقه والتفسير والحديث وغيرها ولا يتيسر ذلك إلا فى الأزهر والمعاهد الدينية .

ولما كانت القرية أقرب إلى الاسكندرية فهى فى مواجهة بلدة ادفيينا وقرية من مدينة رشيد فقد تهيأ الصبي تهيؤاً للمغترين فى طالب العلم فاعلى والدته إلا أن تهيء له ( الزوادة ) وهى الخبز وبعض ما يتيسر لها من طعام تضعه فى سبت من الجريد أو ( قفة ) من الخوص .

## طلبه العلم

وسافر الطالب إلى الاسكندرية ولم يكن معهداً الديني قد أنشئت مبانیه الحديثة واسكن طلبة المعهد كانوا يدرسون في مسجد (الشيخ) وكان هو معهد الاسكندرية يندرسه ومذاهبه الأربعة (الحنفي) و ( المالكي ) و ( الشافعي ) و ( الحنبلي ) وما زال مسجد الشيخ موجوداً حتى الآن قريباً من ميدان المنشية .  
وكان المسجد هو مسكن الطالب ومأواه ، فيه يدرس ، وفيه ينام ، وفيه يقوم ساجداً راکعاً لله .

## تعلمه صناعة الساعات

ولما تذوق العلم وتقدم في الدراسة فسكر في المستقبل وما يكون بعد اتمام دراسته وأن كل عالم من العلماء كانت له صناعة بجانب علمه يتكسب منها لثلاً يكون العلم وسيلة لطلب الرزق .

ويسر الله له بركة اخلاصه وصدقه مع الله فالتحق بأ كبر محل في الاسكندرية لاصلاح الساعات وبيعها هو محل الحاج محمد سلطان وكان يفرغ من دراسته يومياً فيسرع إلى صنعته التي أحبها وعشقها حتى أتقنها وبرع فيها وأصبحت بعد ذلك حرفة له وتجارة ومن هنا جاءت شهرته ( بالساعات ) .

## اختياره بلدة المحمودية لاقامته

وعاد إلى القرية عالماً صانعاً فتزوج منها وسار بأهله إلى بلدة ( المحمودية ) التي أعجبتة عبر رحلته إلى الاسكندرية ورجوعه منها إلى قريته .

وفي المحمودية وهي من أعمال مديرية البحيرة والقريبة من مدينة دمنهور وضع رحاله واستقر به النوى ، ورحب به عالمها وأمامها الشيخ محمد زهران وكان كفيفاً بارع الذكاء زاخراً بالعلم والعرفان ، وأصبحا صديقين حميمين ، يتدارسان العلم ، ويتمقان في البحث والتحقيق ، وكانت مكتبة المؤلف زاخرة بأهمات الكتب في الفقه والتفسير والحديث وجميع علوم الشريعة وفنونها .

( م ٣٠ — الفتح الرباني ج ٢٤ )

## قراءته للمسند

وفي سنة أربعين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية ، وهي نهاية الحلقة الرابعة من عمر المؤلف أخذ في قراءة المسند - بعد أن يسر الله له قراءة الكتب الستة وغيرها من الأصول المعتبرة عند المحدثين - فوجده بجرأ خضماً يزخر بالعلم ويموج بالفوائد فخطر له أن يرتبه وتهيب العمل فيه واستعظم التبعة ولكن الدافع كان قوياً والرغبة إلى الله صادقة فأخذ رأى ذوى البصائر الناقبة واستشار من لايتهم ديناً وأمانة وصدقاً ونصيحة وهو صديقه وشيخه العالم العامل الصالح الورع الشيخ محمد زهران ، فكل أشار بما قوى العزيمة فبدأ العمل فيه داعياً الله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه ويتقبله ويعين على تجزئه بصدق النية فيه (١) .

وقد فرغ المؤلف من تبييضه في نهاية عام ١٣٥١ هجرية بعد أن قرأه بتامه أربع مرات ثم قرأه للمرة الخامسة وهو يقوم بتصحيحه عند الطبع حتى منتصف الجزء الثاني والعشرين .

## هجرة الاسرة إلى القاهرة

ولما كانت هجرة المؤلف إلى الاسكندرية في طلب العلم كذلك كانت هجرة الاسرة كلها إلى القاهرة في طلب العلم وذلك حين احتاج النجل الأكبر للمؤلف الإمام الشهيد حسن البنا إلى الالتحاق ( بمدرسة ) دار العلوم وأراد المؤلف التعرف إلى علماء الأزهر الشريف بالقاهرة والالتقاء بالمحدثين الوافدين من أقطار العالم الإسلامي .

وهكذا وفدت الاسرة كلها إلى القاهرة وعكف المؤلف على كتابته الذي أصبح شغله في الحياة وحظه منها وأصبح مكتبه في عطقة الرسام على ناصية مسجد الفسكهاى بالغورية مقصد العلماء والباحثين ، ومطلب المحققين والمحدثين لا يبرحه إلا للصلاة في مسجد الفسكهاى أو مسجد المؤيد .

ثم دفع بمؤلفه المبارك إلى المطبعة التي لا تبعد عن مكتبه إلا خطوات حيث تقع

(١) أنظر مقدمة المؤلف في كيفية العمل فيه في الجزء الأول صفحة ١٣ ، ١٤

في شارع الفحامين المقابل لعطفة الرسام وتأتية (مسودات) المطبوعة ملزمة ملزمة  
فيقوم على تصحيحها بنفسه ويدقق في ذلك أشد الدقة حتى يتقاضي كل ما يمكن  
أن يتفاداه من أخطاء .

وكما كان يقد على مكتبه جلة العلماء ، كذلك كانت تحضر مجموعات من طلبة العلم  
في الأزهر الشريف ممن شغفوا بالسنة وأولعوا بدراستها ، حتى اضطر المؤلف أن  
يقسم الجزء الواحد من الكتاب إلى أربعة أقسام حتى ييسر على طلبة العلم اقتناه  
ويخفف عنهم مقدار ثمنه .

### صفة الشيخ الخلقية والخلقية

وكان الشيخ رحمه الله ربعة لا بالطويل ولا بالقصير نحيفاً قحى اللون يتكفأ  
في مشيته ويغض بصره وكان في لحيته شعرات سوداء وكانت ثيابه غليظة متواضعة  
يلبس الجبة والقفطان ويعتم ، عليه سكينه ووقار .

وكان زاهداً ورعاً منصرفاً عن الدنيا راغباً في الآخرة لا يخوض فيما يخوض فيه  
الناس ولا يتقيد بما يعملون ويشترعون حتى كان لا يقدم ساعته حسب التوقيت الصيني  
حين كان يفعل الناس ذلك ويقول مالي وللناس إنما أتعامل مع الله جل وعلا .

### شعوره بالمرض

وعندما كان الشيخ رحمه الله يعمل في الجزء الثاني والعشرين وقد أتم كتاب  
السيرة النبوية والأبواب المتعلقة به من ذكر أولاده صلى الله عليه وسلم وآل  
بيته الطاهرين وزوجاته أمهات المؤمنين وبدأ العمل في أبواب مناقب الصحابة  
رضي الله تعالى عنهم شعر ببدء المرض وعرضت عليه الحضور إلى منزلي لنكون جميعاً  
في خدمته ونقوم على مطالبه فاستمهلني قائلاً سأفعل ذلك إن شاء الله عند لزومه  
وظل يكتب في باب المناقب حتى وصل باب ماجاء في جرير بن عبد الله البجلي وكنت  
أمر عليه في مكتبته في فترات متقاربة وبعد صلاة العشاء من يوم الأحد ٥ من جمادى  
الأولى سنة ١٣٧٨ هجرية الموافق ١٦ نوفمبر سنة ١٩٥٨ ميلادية مرت به فابتدرني  
بقوله غداً إن شاء الله بعد أن تصلى الفجر احضر الى مبكراً بعربة تنقلني إلى بيتك  
ثم طلب الوضوء لصلاة العشاء فقدم إليه فتوضأ ثم نوى الصلاة .

## ما قرأه في هذه الليلة في صلاته من القرآن

فلما أتم قراءة الفاتحة في الركعة الأولى قرأ قوله تعالى ( كل نفس ذائقة للبوأ وإلما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) .

وقرأ بعد الفاتحة في الركعة الثانية ( لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً ، وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور) .

ودخل نفسى من ذلك شيء ، وبكرت صبيحة الاثنين بعربة ركبها ومعه الأصول الباقية من الفتح الربانى بخط يده وبعض مراجع كتب الحديث التى كان يعمل فيها فى الجزء الثانى والعشرين ، ثم جلس فى حجرة النوم وأشار بأن تصف المراجع فى الشباك القريب منه بالحجرة ومعهما الأصول وجعل يشير إليها ويتحدث عما أنجزه حتى الآن .

وطيلة يوم الاثنين وهو يحدثنا حديث الواثق المؤمن وعرض لنشأته وصباه وبلدته وكان أصح ما يكون صحة وأتم ما يكون عافية حتى نسيت ما داخل نفسى من شعور يوم الأحد مساء وقلت لقد من الله على الشيخ بالعافية وظننته سيمكث معنا طويلا يتمنا بهذا الحديث وينقمنا بهذا العلم ولكن قدر الله كان سابقاً وأمره كان نافذا .

وفى يوم الثلاثاء انشغل بربه وانصرف عنا وكان يطلب الوضوء وينظر فى ساعته إذا حضر وقت الصلاة فيؤديها حسبما استطاع .

## وفاته إلى رحمة الله

وفى يوم الأربعاء ٨ من جمادى الأولى سنة ١٣٧٨ الموافق ١٩ نوفمبر سنة ١٩٥٨ لم يبق مرضياً إن شاء الله تعالى عن سبع وسبعين سنة وبضعة شهور .

وشيمت جنازته وتبمها أهل الفضل والعلم وجاهير غفيرة إلى مسجد الرفاعي بالقلعة ، وأم الناس في الصلاة عليه الشيخ سيد سابق ، ودفن بقرافة الإمام الشافعي رضي الله عنه بجوار ابنه الإمام الشهيد حسن البنا رحمهما الله .

رغبتى في الانصال بوالدى رحمه الله

ورغبت أن أتصل بسبب إلى والدى غير النسب ، وبسند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو شرف الدنيا وعز الآخرة إن شاء الله فطلبت إلى تلميذ والدى العالم الفاضل الشيخ على المؤيد ، أن يجيزنى فتفضل جزاه الله أحسن الجزاء وأجازنى هذه الأجازة وقد استشرت من لا أتهم ديننا وأمانة وورعاً فأشاروا بائباتها هنا ، أسأل الله تعالى أن تكون مقبولة عنده خالصة لوجهه الكريم .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رافع الدرجات والذين آمنوا والذين آوتوا العلم ورجباً  
والصلاة والسلام على من أرسله الله بالهدى ودين الحق  
ليظهره على الدين كله ، القائل من تشكك بسنتي عندنا  
أمتي فله اجر مائة شهيد . وعلى آله الأطهار وصحابة  
الأخيار .

وبعد فإن الإسناد في الرواية من خصائص أئمة سيدينا  
وبقا سلكه شرف لها لا اتصالها بنبيها صلوات الله عليه  
وعلى آله ، وإن من طرق الرواية الإجازة وهي من خطبات  
الصالحين ، وأجمل بها مشهور بين المحققين .

ولقد حسن الظن في إخراج الله فضيله الشيخ العالم  
الفاضل التقي عبدالرحمن بن أحمد البنا أجزاله مشوبه  
بطلب من إجازته فلم تسعني مخالفته ، وإن لم يكن اهلاً  
لذلك ، فأقول قد إجازته بما تجوزى روايته من  
معقول ومنقول وفروع وأصول ، وأخص من ذلك ،  
ما خصه شبحي التقي الزاهد الورع الحجة الشيخ أحمد

ابن عبد الرحمن البنا في اجازته لي ، وذلك مستند الامام  
احمد بن حنبل الشيباني ، الذي رثبه وشرحه ونماه الفتح  
الرباني ، فقد اجازني بروايته عنه . وانا جرحه بخلافه  
بروايته عني ، عن والده ، عن شيخه مفتي وادي الفرات  
العلامة السيد محمد بن سعيد العرفي الحسيني . كما اجازته بذلك  
مفتي الديار السامية السيد محمد بدر الدين الحسيني ، عن  
السيد ابي الخير الخطيب ، عن الشيخ عبد الرحمن الكزبري صاحب  
الثبت الشهير ، عن والده محمد ، عن احمد بن محمد الحسيني حفيد  
ابي المواهب ، عن والده عبد الباقي ، عن عمر القاري ، عن  
البيدر الغزي ، عن ابي القاسم زكريا الانصاري ، عن عبد الحميد  
ابن محمد الحنفي ، عن ابي العباس احمد الجرجي ، عن زينب بنت  
مكي ، عن حنبل الرضائي ، عن جده السيد الشيباني عن الحسين  
التميمي ، عن ابي بكر القطيعي ، عن عبد الله بن احمد ، عن والده  
الاجام احمد بن حنبل رحمهم الله تعالى

هذا اذ اوصى الاخ الحجازي كما اوصى نفسي بالعقوي وجر  
ان لا ينساني من صالح دعائه . واسأل الله لي وللخ الحجاز  
الحاتم الحسيني ، وان يوفقنا جميعا الى ما نرضيه عنا امره بجمع حبيب  
حرفه اول شهر شعبان المبارك ١٢٨١ هـ كنيه على ابن مال الوفاء